وهو نفس ما ذهب إليه الأب جورج سابا في كتابه "على عتبة الكتاب المقدس" إذ يقول: كلمة "قانون": هي كلمة يونانية، يُحتمل أن تكون قد أخذت عن اللغات السامية، ومعناها القاعدة والمقياس. ويبدو أن أول من استعمل هذه اللفظة في مجال الكتاب المقدس هو القديس الشرقيّ أثناسيوس الكبير نحو سنة 350م، عندما راح يقول إن كتاب "راعي هرماس" ليس ضمن القانون. وأوَّل مجمع استعمل الكلمة هو مجمع اللاذقيّة في تركيّا الحالية نحو سنة 360م. ومنذ القرن الرابع راج استعمال الكلمة في الشرق وفي الغرب بفضل القديس أوغسطينس فكانوا يقولون: يمكن أن تقرأ الكتب في الكنيسة على أنّها قانونية ولا يجوز أن يقرأ سواها لأنه ليس قانونيا، فالقانون إذا هو جدول الكتب التي وضعت بإلهام الله وتسلمتها الكنيسة على أنها قاعدة الإيمان والحياة الروحية بسبب أصلها الإلهي"[1].

وقد حدد جوش ماكدويل لقبول قانونية السفر خمسة مقاييس؛ أولها: هل بالسفر سلطان، أي هل جاء من عند الله وهل حوى عبارة "هكذا قال الرب"؟ ثانيها: هل السفر نبوي كتبه أحد رجال الله؟ ثالثها: هل السفر موثوق به، وقد قال الآباء: "لو خامرك الشك في سفر فألقه جانبا"؟ رابعها: هل السفر قوي؟ هل فيه قوة إلهية قادرة على تغيير الحياة؟ خامسها: هل قبل "رجال الله" السفر وجمعوه وقرؤوه واستعملوه؟[2].

المبحث الأول

قانونية العهد القديم

جاء في الرهبانية اليسوعية "أن الدين اليهودي القديم اتخذ قرارا رسميا في شأن التوراة أو الشريعة منذ الزمن الذي ثبتها عزرا وأصدرها في السنة 398 ق.م على الأرجح، ومنذ ذلك الحين اعترفت السلطات الفارسية بأن أسفار موسى تؤلف دستورا يحكم جميع يهود الإمبراطورية... فكانت هذه الأسفار قانونية، أي تنظم الوجود، وفي وقت لاحق حددت مجموعة ثانية وهي مجموعة الأنبياء، لكن لم يكن لهذه المجموعة الثانية سلطة منظمة تعادل سلطة المجموعة الأولى، لكنها كانت أساسا لشرحها وامتداد لفحواها، ومع تثبيت مجموعة المزامير، وهي ضرورية للصلاة الطقسية، نشأت فئة ثالثة من الكتب المعترف بها رسميا والمستعملة في عبادة الهيكل وفي الاجتماعات المجمعية، وهي فئة المؤلفات،... ولكن يصعب علينا أن نعرف ما

(1) أنظر: الأب جورج سابا، على عتبة الكتاب المقدس، منشورات المكتبة البولسية ، ص: 173-174.

(2) جوش مكدويل، برهان يتطلب قرارا، ترجمة القس منيس عبد النور، دار الثقافة ،طبعة الثالثة، ص: 38.

هي حدود قائمة الأسفار المعترف بها والمستعملة في مختلف الأماكن التي كان اليهود يقيمون فيها، بين القرن الأخير من العصر القديم والإصلاح اليهودي الذي خلف خراب أورشليم"[1].

ودون الدخول في تفصيلات كثيرة "نجد أنه بعد خراب أورشليم سنة 70م، استأذن اليهود السلطات الرومانية ليعقدوا مجمعا يحددون فيه بصفة قاطعة الأسفار القانونية التي يلتزمون بها، وانعقد هذا المجمع سنة 90م في بلدة صغيرة اسمها "جمينا" ويطلق عليها أحيانا اسم "جبنة" بالقرب من يافا وأقروا في هذا المجمع التسعة والثلاثين سفرا التي تتفق جميع الكنائس المسيحية بشأنها فيما يتعلق بالعهد القديم"[2].

إذن لم تكن أسفار العهد القديم محددة بصفة قاطعة قبل مجمع جمينا سنة 90م؛ "بل كان هناك نوع من "المرونة" في مدى قبول هذه الأسفار واعتبارها إلهية، حقا كانت التوراة والأنبياء مقدسة في وسط اليهود منذ عصر مبكر وصارت مصدر التشريع والتعليم والمعتقدات بين عامة الشعب... لكن القسم الثالث "كتُوفِيم" كان فيه نوع من "المرونة" حتى بين اليهود أنفسهم"[3].

لقد عرفت لائحة الكتب القانونية للعهد القديم جدلا كبيرا منذ العصور القديمة بين أتباع كلتا الديانتين اليهودية والمسيحية، وبقيت الكتب المندرجة تحتها بين أخذ ورد مدة طويلة، حتى جاء مجمع يمنية أو جمينا سنة 90م، وحصر عدد الكتب القانونية لدى اليهود[4]، ولم تكن قائمة الكتب التي تدارسها المجتمعون في مجمع يمنية محل اتفاق بين اليهود، فمثلا كان الفريسيون[5] يعتبرون سفر دانيال قانونيا، فيما

---

(1) الكتاب المقدس، دار المشرق، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1994، ص: 48-49.

(2) المسيح اسطفانوس، تقديم الكتاب المقدس (تاريخه، صحته، ترجماته)، طبعة دار الكتاب المقدس، ص:31.

(3) رهبان دير أنبا مقار، العهد القديم كما عرفته كنيسة الإسكندرية، دار مجلة مرقس، ص: 84. بتصرف.

(4) يوسف الكلام، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، ص: 90.

(5) الفريسيون هم طائفة من الفقهاء الدينيين الذين يتمسكون بحرفية النصوص الظاهرة، وإسم الفريسيين مشتق من كلمة "فروشيم" العبرية وتعني المفروزين أي الذين امتازوا على الجمهور، وعزلوا أنفسهم عنه وأصبحوا لعلمهم واتصالهم بأسرار الشريعة الصفوة المختارة ويصفون بقية اليهود بأنهم عوام الأرض، ويعتقد الفريسيون في البعث وقيام الأموات ويؤمنون بالملائكة والعالم الآخر. ويرى الفريسيون أن التوراة ليست هي كل الكتب المقدسة التي يعتمد عليها وإنما هناك بجانب التوراة روايات شفوية أقدم وأقدس.(ينظر: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد علي البار، دار القلم ، دمشق، الطبعة الأولى، 1990، ص: 241.)

لم يعتبره الصدوقيون[1] كذلك، بينما كان لجماعة قمران أسفار كثيرة لم ترد في القائمة القانونية، منها أخنوخ واليوبيلات وغيرها.

وفي مجمع" نيقية" 325 م أقر المجتمعون النصارى سفر يهوديت فقط، وأبقوا ثمانية أسفار مشكوكا فيها، وفي مجمع" لوديسيا" 364 م أقر المجتمعون سفرا آخر هو سفر إستير، وفي 397م عقد مجمع" قرطاجة" بحضور القديس أوغستين، فأضاف المجمع للقائمة ستة أسفار هي: الحكمة، طوبيا، باروخ، يشوع بن سيراخ، والمكابيين الأول، والثاني، و اعتبر المجتمعون سفر باروخ جزءا من إرميا، ثم فصلوهما في مجمع " ترلو" 692 م، وأصبحت هذه الأسفار متفقاً عليها عند جمهور النصارى إلى حين ظهور البروتستانت في القرن السادس عشر ولا تزال الكنيسة الأثيوبية تعتقد بقانونية بعض الأسفار فهم يقبلون راعي هرماس وقوانين المجامع ورسائل اكليمنضس، والمكابيين وطوبيا ويهوديت والحكمة ويشوع بن سيراخ وباروخ، وأسفار أسدراس الأربعة، وصعود إشعياء، وسفر آدم ويوسف بن جوريون وأخنوخ واليوبيل فيما اعتبر جمهور الآباء الأوائل رسالة إرميا جزءاً من كلمة الله الموحى بها، كما صنع أوريجانوس عند تفسيره للمزمور الأول، فقد أوردها وغيره ضمن قائمة الأسفار القانونية، ثم رفضتها المجامع فيما بعد[2].

بعد هذه الفدلكة التاريخية يتضح أن العهد القديم "ليس هو كل الأدب الذي صدر عن الشعب العبراني، بل هو نتيجة اختيار مؤلفات تعد كتبا يعول عليها وتسمى لهذا السبب أسفار قانونية "أولى"، أما الأسفار القانونية الثانية فهي جزء من القانون المُحدد رسميا في الكنسية الكاثوليكية منذ المجمع التريدنتيني، أما الكنائس الشرقية (الأرثوذكسية وغير الخلقيدونية) فلم تتخذ قرارا صريحا في شأن هذه الأسفار، أما المصلحون البروتستانت الذين ظهروا في القرن السادس عشر فلم يعدوها قانونية"[3].

---

(1) يطلق المؤرخون إسم الصدوقيين على فئة كانت ترغب في أن تصبح إغريقية في جميع مظاهرها، وفي ديانتها وعبادتها، وكانت هذه الفئة مؤلفة من بعض الكهنة وبعض الكتبة، وقد ظهرت في زمن السلوقيين، وهم لا يقرون بالمدراش والجمارا ممن هو خارج عن الوحي المدون في أسفار التوراة الخمسة المنسوبة إلى موسى، ويقولون: علينا أن لا نراعي إلا ما ورد في النص المدون، ولا نأخذ بما جاءت به التقاليد الشفوية الموروثة عن الآباء والأجداد، وتمتاز الصدوقية بالإضافة إلى نكران الثواب والعقاب ويوم البعث بأنها لا تؤمن بالحياة الأبدية للبشر بأفرادهم وأشخاصهم في الحياة الأخرى، وهي تنكر وجود الملائكة والشياطين كما تنكر القضاء والقدر (لمزيد من التوسع ينظر: عبد المجيد همو، الفرق و المذاهب اليهودية منذ البداية، الأوائل للنشر والتوزيع، سورية ، الطبعة الثانية، 2004، ص: 50).

(2) أنظر: منقذ بن محمود السقار، هل العهد القديم كلمة الله، سلسلة الهدى والنور ، العدد الأول ، ص: 56.

(3) الكتاب المقدس، دار المشرق، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1994، ص: 47-48.

والسبب في هذا الاختلاف العددي في الأسفار القانونية المكونة للعهد القديم "هو اعتماد المسيحيين قانون العهد القديم لدى اليهود الذين استقروا بالإسكندرية، ونظرا إلى الامتيازات التي حظوا بها، استطاعوا الحفاظ على عبادتهم وشعائرهم، لكن نتيجة للتأثير الهلنستي الذي عرفه يهود المهجر، خاصة يهود الإسكندرية بدأت اللغة العبرية تتراجع، حتى حلت محلها اللغة الإغريقية، وصعب عليهم من ثم قراءة نصوصهم المقدسة فاضطروا إلى إحداث ترجمة باللغة الإغريقية، تكون مرجعا دينيا ليهود المهجر...، وبعد أسفار التوراة جرت ترجمة باقي أسفار العهد القديم بحسب قيمتها الدينية وزادت هذه الترجمة سبعة أسفار في مجموعها على النص المعتمد لدى يهود فلسطين، ونظرا إلى اعتماد مجمع "ترنت" على الترجمة اللاتينية الفولكاط التي أعدها القديس جيروم (347-420م) اعتمادا على هذا الأصل الإغريقي اختلف العهد القديم عند المسيحيين من حيث العدد عن توراة اليهود"[1].

المبحث الثاني

أهمية وأسباب قبول الأسفار المنحولة عند الطائفة الكاثوليكية

المطلب الأول: أهمية الأسفار المنحولة.

تحتل أسفار الأبوكريفا عند الطائفة الكاثوليكية مكانة جد مهمة إذ لا يعني أن كل ما بها ليس بحق عندهم، فبعض هذه الكتب كان لها اعتبارها الخاص ككتب كنسيّة ذات قيمة روحيّة وتاريخيّة، وهي في الحقيقة تمثل تراثا هاما بالنسبة

(1) يوسف الكلام ، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، ص: 95-96 بتصرف.